شرح ثلاثة الأصول وأدلتها

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه

شرح الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر حفظهما اللّه تعالى

١٤٤٠/٠٢/١٠ هـ

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد :

فبين أيدينا رسالة قيمة ومؤلَّفٌ نافع يحتاج إليه كل مسلم ، وهو في بيان الأصول الثلاثة؛ التي هي معرفة الله ، ومعرفة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة دين الله –دين الإسلام– بالأدلة ، وهي التي قال صلى الله عليه وسلم عنها : ((ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً)) ، وهي التي ندب عليه الصلاة والسلام أن تُقال كل مرة بعد سماع الآذان ؛ أن يقول : «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً» ، وهي الأصول التي يُسأل عنها الميت إذا أُدرج في القبر؛ يأتيه الملكان فيُجلسانه فيقولان : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ فهذه رسالة أفردها الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في بيان هذه الأصول الثلاثة وإيضاحها بالأدلة من كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو رحمه الله جادَّته جادة السلف ، وطريقته طريقتهم ، وليس أحد من السلف يأتي للناس باعتقاد ينشئه ويخترعه بل الاعتقاد عندهم: «قال الله قال رسوله عليه الصلاة والسلام» ؛ ولهذا ما يذكره رحمه الله تعالى في رسالته هذه وفي كتابه التوحيد وفي غيره من كتبه كل ذلكم مبني على الدلائل البينات والحجج الواضحات والبراهين الساطعات من كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

وسنرى في هذا الكتاب القيم حُسن الاستدلال بكتاب الله جل وعلا وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، وحُسن التعويل عليهما والرد إليهما في سائر أمور الدين ؛ ولهذا فإن هذا الكتاب كتابٌ ينبغي أن يحرص عليه كل مسلم مع نفسه أولاً قراءةً لهذا الكتاب وفهماً لمضامينه وتحقيقاً لغاياته ومقاصده ، وأن يسعى بعد ذلك جاهداً مع أهله وولده وقرابته نشرًا لهذا الخير وبيانًا لهذه الأصول العظيمة التي ستُسأل عنها أنت ، وسيُسأل عنها ولدك ، وستُسأل عنها أمك ، وسيُسأل عنها أخوك وقريبك ، كلٌ سيُسأل عنها إذا أُدرج في القبر ؛ فما أحرانا أن نتكاتف وأن نتعاون نصحًا لدين الله ولعباده بنشر هذه الأصول العظيمة وتلقينها للناس وتعليمهم إياها نصحاً لدين الله جل وعلا .

وقد كان أهل العلم وأئمة المساجد يعتنون كثيراً ببيان هذه الأصول ، ويجتهدون في تحفيظها للصغار والكبار بحيث تكون أصولاً محفوظة مضبوطةً مفهومةً لدى الناس ، وأن يكونوا كذلك محققين لها ، وقد قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: «كان رحمه الله – يعني شيخ الإسلام – يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدْرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة» ؛ فهذه الأصول الثلاثة هي في الحقيقة قاعدة الإيمان

وأساس الملة وركيزة الدين التي عليها يُبنى ، وهي أساس الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة ، فلا تنال سعادة ولا تكون نجاة إلا بتحقيق هذه الأصول العظيمة ، وقد كان الإمام رحمه الله ناصحاً للناس نصحاً عظيماً بإفراده هذه الأصول الثلاثة بالبيان والإيضاح وجمع الدلائل عليها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ لتكون سهلة التناول ، قريبة المأخذ ، واضحةً ، مقررةً بأدلتها وحججها من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فهذا كله من نصح هذا الإمام رحمه الله لعباد الله .

وهذه الرسالة اعتنى بها أهل العلم كثيراً واجتهدوا في شرحها وبيان مقاصدها وتسهيلها للطلبة والعامة ، وكتبوا فيها رسائل عديدة في شرح هذه الأصول الثلاثة ، كما أنهم كذلك اعتنوا عنايةً كبيرة بتحفيظها للناشئة وللعامة ولعموم المسلمين ، وقد كان في بعض الأوقات يسأل إمام المسجد المصلين عنده عن هذه الأصول ، وكان العوام يعرفون هذه الأصول بـ «الدين» ، يقول بعضهم لبعض : "أقرأ علينا الدين" ، أو "سمّعنا الدين" ؛ فيقرأون هذه الأصول الثلاثة . ولقد حفظها عدد كبير من هؤلاء في صغره ، لُقنت له وهو صغير ، وكانت معه ثابتة في الكبر وفي هرمه وشيخوخته ، حتى إن بعض العوام نُقل أن خَرَفه كان في كبره في الأصول ؛ يخرِف ويتكلم فلا يأتي على لسانه إلا هذه الأصول الثلاثة ، وكان بعضهم أيضاً في شهوره الأخيرة ولحظاته الأخيرة تأتي على لسانه وهو قد حفظها صبياً يافعاً . وأذكر من ذلك على سبيل المثال: أن جدي رحمه الله تعالى -الشيخ حمد- وقد تُوفي عن عمرٍ يبلغ المئة -مئة عام- فأذكر قبل وفاته بأشهر كنت جالساً عنده فقال لي : "الطواغيت كثيرون -لا كثرهم الله- ورؤوسهم خمسة ؛ أولهم : إبليس عليه لعنة الله " وأخذ يعدد الطواغيت ، قال : "الخامس نسيته ، ذكرني الخامس" هذا قبل وفاته بأشهر قال : "ذكّرني الخامس؟" قلت له : "من عُبد من دون الله وهو راضٍ" قال : "إيه هذا طاغوت مدلدل" باللغة العامية ، الشيء المدلدل: يعني مكشوف واضح .

فكان الناس يعتنون جداً بهذه الأصول، ولهذا يؤسَف جداً لحال كثير من العوام أنه يكبر ويكبر ويقارب أن يفارق هذه الحياة وهو لا يدري ما هي الأصول ولم يعتنِ بها! لأنه لم يجد في مجتمعه وفي معلميه من يلقن هذه الأصول ؛ ولهذا تتأكد المسؤولية على طلاب العلم وحملة الدعوة وأنصار الدين أن ينصحوا لعباد الله تبارك وتعالى ولاسيما وبخاصة في هذه الأصول الثلاثة المباركة العظيمة التي جمعها الإمام رحمه الله تعالى في هذه الرسالة القيمة .

وأيضاً -أيها الأخوة- أقول: إن نعمة الله سبحانه وتعالى علينا جميعاً عظيمة ؛ أن جمعنا هذا الجمع ، ويسَّر لنا هذا المجلس لنشرع في مذاكرة هذه الأصول ومدارستها ، فاللهم وفِّقنا ، واكتب مجلسنا هذا في صالح أعمالنا ، وارزقنا فيه علماً نافعاً تهدينا به لكل خير ، وأن تصلح لنا شأننا كله . ونبدأ مستعينين بالله ، ذاكرين الله سبحانه وتعالى متوكلين عليه ، باسم الله ما شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الإمام الأواب ؛ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وقدَّس روحه وغفر له وللشارح والسامعين، قال في كتابه «الأصول الثلاثة» :

بسم الله الرحمٰن الرحيم

اعلمْ –رحمكَ اللهُ– أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ؛ الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ. الثانيةُ: العملُ بهِ. الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ.الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ. والدليلُ قولُه تعالَى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر] . **قالَ الشافعيُّ رحمَهُ اللهُ تعالَى: «لوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلاَّ هٰذه السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ». وقال البخاريُّ رحمَهُ اللهُ: «بابٌ العلمُ قبلَ القولِ والعملِ، والدليلُ قولُه تعالَى:** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد:١٩] ؛ **فبدأَ بالعلمِ قبلَ القولِ والعملِ»** .

****

بدأ المصنف رحمه الله تعالى بـ «**بسم الله الرحمن الرحيم**» ؛ وهذه الكلمة كلمة استعانة بالله عز وجل وطلب عون منه جل وعلا يُشرع للمسلم أن يأتي بها في بدأ أعماله ، إن كان أكلاً أو شرباً أو دخولاً أو كتابةً أو قراءةً أو نحو ذلك ، وذلك تيمناً بذكر اسم الله جل وعلا وطلباً لمدِّه وعونه وتوفيقه . وهو رحمه الله في صنيعه هذا مؤتسٍ بكتاب الله جل وعلا ؛ حيث بُدأ بالبسملة وبُدأت سوره بالبسملة ، وتأسياً بالنبي عليه الصلاة والسلام في مكاتباته ورسائله يبدأ ذلك بالبسملة ، وهي – كما قدمت – كلمة استعانة .

والجار والمجرور في قوله : «بسم الله» متعلق بفعلٍ محذوف مقدَّر ، تقديره : أكتب ، ويحسن أن يكون تقديره متأخراً ليكون بذلك مفيداً الحصر ؛ أي به لا بأحد سواه جل وعلا ، لأن تقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، وتقدير ذلك : باسم الله أكتب ؛ أي باسمه وحده جل وعلا . والباء في «بسم الله» باء الاستعانة ؛ أي أكتب مستمداً عوني فيما أكتبه من الله تبارك وتعالى ، وأنا في ذلك متيمن بذكر اسمه جل وعز .

و «الله» هذا اسم لله جل وعلا لا يُطلق إلا عليه ، وهو دالٌ على ألوهيته وجلاله وكماله وعظمته وأنه تبارك وتعالى مستحق للعبادة دون سواه ، كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «الله : ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين» ؛ فأشار رضي الله عنه في بيانه لمعنى هذا الاسم إلى جانبين يدل عليهما :

- الأول : ألوهية الله ؛ وهي كماله وجلاله وكبرياؤه وعظمته واتصافه بصفات الكمال ونعوت الجلال وأنه سبحانه له الأسماء الحسنى .
- والجانب الآخر: العبودية ؛ التي هي فعل العبد ، وهي من مقتضيات إيمان العبد بألوهية الله ؛ بأن يذل ويخضع له وينكسر لجنابه سبحانه ، وأن يفرده وحده بالذل ، وأن يخلص الدين له ، وأن لا يجعل معه شريكاً في العبادة.

و «الرحمن الرحيم» ؛ هذان اسمان دالان على ثبوت الرحمة صفة لله ، وأن رحمته سبحانه وتعالى واسعة ، وأنها كذلك واصلة لعباده ؛ فالاسمان يدلان على ثبوت الرحمة صفةً لله جل وعلا .

«الرحمن» يدل على سعة الرحمة ، لأن هذا الوزن "فعلان" يدل على السعة ، فهو يدل على سعة رحمة الله ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] ، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧] ، فهو يدل على سعة الرحمة .

و «الرحيم» يدل أن هذه الرحمة رحمة واصلة للعباد ، ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣] ، ولم يأتِ "وكان بالمؤمنين رحماناً" ؛ لأن «الرحيم» اسم يدل على وصول هذه الرحمة للعباد . فذُكر في هذه البسملة هذه الأسماء العظيمة الجليلة لله تبارك وتعالى ؛ «بسم الله الرحمن الرحيم» .

ثم قال : ((**اعلمْ رحمكَ اللهُ**)) ؛ وسيأتي أيضاً بعد قليل قوله أيضاً : ((اعلمْ رحمكَ اللهُ)) ، ثم سيأتي أيضاً: ((اعلم أرشدك الله لطاعته)) ثلاثة مواضع ، ثم بعد ذلك تبدأ رسالة الأصول الثلاثة ؛ من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

ولهذا ينبغي أن نعلم أن الأصول الثلاثة صُدرت بهذه الرسائل الثلاثة العظيمة للإمام رحمه الله ، وكل رسالة منها مصدرة بقوله : «اعلم» والدعاء ؛ الرسالتان الأوليان فيهما الدعاء بالرحمة ، والأخيرة فيها الدعاء بأن يرشدك الله إلى طاعته .

- ذكر في الرسالة الأولى مسائل أربعة عظيمة يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة ، ويجب تعلّمها على كل مسلم ومسلمة؛ وهي العلم والعمل والدعوة والصبر ، وقد اجتمعت هذه المسائل في سورة العصر كما سيأتي بيان ذلك.
- والرسالة الثانية مشتملة على بيان التوحيد بنوعيه العلمي والعملي ، ومسألة الولاء والبراء .
- والرسالة الثالثة مشتملة على ذكر الحنيفية ملة إبراهيم إمام الحنفاء عليه صلوات الله وسلامه .

بعد هذه الرسائل تأتي الأصول الثلاثة ، وفي الرسالة الأولى من هذه الرسائل إشارة إلى هذه الأصول الثلاثة ؛ عندما ذكر المسألة الأولى وهي العلم قال : ((وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ)) وسيأتي ذكر النكتة في ذلك ، لمَ خصّ رحمه الله هذه الأصول الثلاثة بالذكر هنا ؟ .

قوله رحمه الله تعالى : ((**اعلمْ رحمكَ اللهُ**)) ؛ بدأ الرسالة بهذا «اعلمْ رحمكَ اللهُ» ، بدأها رحمه الله تعالى بتنبيه ودعاء ؛ تنبيه يُراد به استدعاء اهتمام القارئ وانتباهه وحُسن استفادته ، لأن ما سيُلقى عليه ويقرر له أصول عظام ومسائل جليلة تحتاج منه إلى حسن إصغاء وحسن انتباه وحسن استفادة ، ولهذا جاء بهذه الكلمة قال : «اعلمْ» مصدِّراً الرسالة بها ، وهذا الأسلوب نافع جداً في التعليم وهو مستمد من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ فكثيراً ما يأتي في القرآن آيات يُنبه فيها على أمور عظام ومسائل جليلة ويصدَّر ذلك بـ«اعلم» كقوله تعالى : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد:١٩] ، وقوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الحديد:٢٠]، وفي القرآن

آيات تزيد على الثلاثين يُبدأ صدر الآية أو في أثناءها بقوله : «اعلم» أو «اعلموا» ، وهكذا في سنة النبي عليه الصلاة والسلام يأتي عنه أحاديث عديدة يصدِّر فيها كلامه وما أراد صلوات الله وسلامه عليه بيانه من أمور علمية أو عملية بقوله : ((اعلم)) أو ((اعلموا)) ، ومن ذلكم قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما : ((واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) ، كذلك قوله عليه الصلاة والسلام كما في مسند الإمام أحمد ، قوله لأبي أمامة : ((اعلم أنك لا تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك خطيئة)) ، والأحاديث عنه في هذا كثيرة . وأيضاً هو أسلوبٌ دارج في تقريرات أهل العلم وفي مؤلفاتهم .

وقوله : ((**رحمكَ اللهُ**)) فيه جمع بين التنبيه والدعاء ، وهذه من علامات النصح ؛ من علامات النصح أن يبيِّن الناصح للمنصوح الخير وأن يرشده إليه برفق وحُسن بيان وتمام إيضاح ، وأن يدعو له في نفس الوقت بالخير ؛ فعلامة النصح الدلالة إلى الخير والدعاء بالخير ، يدله إلى الخير ويدعو من يدله إلى الخير أن يوفَّق له وأن يُسدد وأن يُعان .

قال : ((**اعلمْ رحمكَ اللهُ**)) ؛ الدعاء بالرحمة تارة يأتي مضموماً إليه الدعاء بالمغفرة ، وتارة يأتي مفرداً كما هو عند المصنف رحمه الله ؛ فإذا ضُم إليه الدعاء بالمغفرة فإن الدعاء بالمغفرة يتناول ما سلف من الأزمان وما مضى من الأوقات ، والمعنى : أي غفر الله لك ما سلف منك من خطأ أو زلل أو تقصير أو ذنب . والرحمة : التوفيق فيما سيأتي بالحفظ ، والإعانة على الطاعة ، والوقاية من الزلل ؛ فتكون المغفرة متناولة الماضي ، والرحمة متناولة للآتي من الأزمان . وإذا أُفرد أحدهما بالذكر تناول الآخر ؛ فقوله هنا «رحمك الله» يتناول رحمك بأن غفر لك ذنوبك وستر لك عيوبك وأقالك عثرتك ، وأيضاً يتناول وفقك وسددك وأعانك فيما تستقبل من أيام حياتك ؛ التوفيق للهداية والإعانة للخير .

قال : ((**أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ**)) ؛ يجب علينا : أي نحن معاشر المكلفين ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً ، يجب علينا أي وجوباً عينياً –كما سيذكره رحمه الله– هو من الواجب العيني على كل مكلف ، أي يلزم كل مكلف أن يتعلمه ذكراً كان أو أنثى ، صغيراً كان أو كبيراً ، الكل يلزمهم تعلم هذه المسائل ، ويجب عليهم وجوباً عينياً تعلمها .

وهنا ينبغي أن يُعلم أن فرائض الدين وواجباته منها ما هو فرض عين ، ومنها ما هو فرض كفاية . وفرض العين هو الذي يجب على كل مكلف ، وأما فروض الكفاية فهي التي إذا قام بها بعض المكلفين سقط الإثم عن الباقين، فيكون في تعلم بعض المكلفين لها كفاية ، أما فروض الأعيان لا يكفي أن يتعلمها بعض المكلفين ، بل يلزم كل مكلف بعينه فرداً فرداً من أفراد المكلفين أن يتعلموها .

قال : ((**أَنَّهُ يجبُ علينَا تَعَلُّمُ أربعِ مسائلَ**)) ؛ وقوله «تَعَلُّمُ أربعِ» أي فهمها ومعرفتها وضبطها معرفةً صحيحة مستمدةٍ من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

وقوله «**أربع مسائل**» هذا معدودٌ في حسن البيان وضبط العلم ؛ أن تُذكر الأعداد قبل ذكر المعدود ليكون ذلك أضبط لطالب العلم ، وهذا يأتي كثيراً في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام : ((ثلاث من كن فيه)) ، ((آية المنافق ثلاث)) ، ((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً)) ، ((اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة)) وهكذا أحاديث كثيرة يذكر عليه الصلاة والسلام في صدرها العدد ثم بعد ذلك يذكر المعدود ؛ هذا أضبط لطالب العلم ، لأنه إذا فاته شيء من هذه أو نسي يذكر أنه بقي عليه واحد ، لأنه يعرف أنها أربعة فهذا أضبط في العلم وأمكن في الفائدة .

وقوله رحمه الله «**مسائل**» ؛ الدين مسائل ودلائل ، والمسائل: هي الأحكام والشرائع والأوامر والنواهي المستفادة من دلائل كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، والدلائل: هي المصدر والمنبع لهذه المسائل .

قال : ((**الأُولى: العِلْمُ**)) ؛ والمراد بالعلم : معرفة الحق والهدى . وهو إذا أطلق في نصوص الكتاب والسنة ومُدح أهله وأثني عليهم فالمراد به العلم المستمد من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ وهو علم الشريعة المستمد من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام . فالآيات التي فيها مدح العلم ومدح العلماء ، والأحاديث التي فيها مدح العلم ومدح العلماء المراد بها علم الشريعة؛ «قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم» . وعلم الشريعة كما سبق ينقسم إلى قسمين : فرض عين ، وفرض كفاية ، هناك من علوم الشريعة شيء كثير لا يلزم كل فرد من المكلفين أن يتعلمه ، بل إذا تعلمه البعض كفوا الباقين هذا الأمر . وفرض العين: هو العلم الذي لا يسع أي فرد من أفراد المكلفين جهله ؛ بمعنى أنه يلزم كل مكلف أن يتعلمه ، ومن ذلكم هذه المسائل التي ستبيَّن وتوضح وتقرر بأدلتها من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه . ولهذا نُقل عن الإمام أحمد رحمه الله قال : «يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه»؛ وهذا ضابط دقيق في معرفة العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف ، قال: «يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه» ، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ولهذا معرفة التوحيد الذي قيام الدين عليه فرض عين ، معرفة الصلاة بأركانها وواجباتها وشروطها فرض عين ، معرفة الحج أركانه وواجباته وشروطه فرض عين ، وهكذا في واجبات الدين و فرائض الإسلام التي يؤمر بها كل مكلف تعلمها فرض عين .

قال : «يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه» قيل له : مثل أي شيء ؟ قال : «الذي لا يسعه جهله» ؛ صلاته وصيامه ونحو ذلك فهذه فرائض عينية تلزم جميع المكلفين .

ولهذا قوله : ((**الأولى : العلم**)) ؛ المراد بالعلم هنا: العلم الواجب الذي هو فرض عين ، لأنه قال : ((يجب علينا)) وذكر العلم ؛ فإذاً المراد بالعلم هنا العلم العيني الذي هو فرض على كل مكلف ، فهذا هو الذي يجب

على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمه ، أما بقية أمور الشريعة -فروضها الكفائية- هذه لا تجب على جميع المكلفين، بل إذا قام بها البعض كفوا في ذلك وسدوا الباب وحققوا المقصود والمراد .

قال : ((**الأُولى: العِلْمُ**)) قال : ((**وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ**)) ؛ خصّ رحمه الله هذه الأصول الثلاثة بالذكر هنا لأنها الأصول التي يقوم عليها الدين ، فهي للدين بمثابة الأساس للبنيان والأصول للأشجار ، فكما أن الأشجار لا تقوم إلا على أصولها ، والبنيان لا يقوم إلا على عماده وأساسه ، فكذلك الدين لا يقوم إلا على هذه الأصول ؛ معرفة الله وهو المقصود سبحانه وتعالى ، ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم وهو الواسطة بين الله سبحانه وتعالى وبين العباد في إبلاغ شرعه وبيان دينه ، ودين الإسلام لأنه الطريق الوحيد الموصل إلى الله؛ فلا ينال أحد رضا الله ولا يفوز بثوابه ولا ينجو من عقابه إلا بالإسلام، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] ، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩].

فالإسلام هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله تبارك تعالى ، وما سواه من الطرق لا توصل إلا إلى سخط الله ، فالله عز وجل سدّ كل طريق إلا الإسلام ؛ فهو دين الله عز وجل الذي لا يقبل ديناً سواه ، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣] ؛ ولهذا جاء في المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران ، وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب المفتحة ستور مرخاة ، ومنادٍ ينادي من أول الصراط : يا عباد الله ادخلوا الصراط ولا تعوجوا ، ومنادٍ ينادي من جوف الصراط : يا عبد الله لا تفتح الباب فإنك إن فتحته تلجه)) ثم قال عليه الصلاة والسلام : ((أما الصراط فهو الإسلام ، وأما السوران فهما حدود الله ، وأما الأبواب المفتحة التي عليها ستور مرخاة فمحارم الله ، وأما الداعي الذي يدعو من أول الصراط فهو كتاب الله ، وأما الداعي الذي يدعو من جوف الصراط فهو واعظ الله في قلب كل مسلم)) . فالإسلام هو الصراط الوحيد والجادة المستقيمة التي توصل إلى رضوان الله تبارك وتعالى والجنة ، وفي الدعاء الذي هو واجبٌ على كل مسلم أن يكرره في يومه وليلته سبع عشرة مرة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] أي صراط الإسلام دين الله الذي رضيه الله سبحانه وتعالى لعباده ، ولا يقبل منهم ديناً سواه ؛ فالإسلام هو دين الله .

قال : ((**بالأدلةِ**)) ؛ قوله : «بالأدلةِ» يرجع إلى الثلاث ؛ أن تعرف الله ، وأن تعرف النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن تعرف الإسلام ؛ بأن تكون هذه المعرفة مبينة على الدليل ، والدليل : قال الله قال رسوله صلى الله عليه

وسلم، العلم : قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا أن تكون هذه المعرفة مبينة على الهوى ، أو على الرأي ، أو على الذوق ، أو على المنامات ، أو على التجارب ، أو على القصص ، أو غير ذلك مما جُعل لدى كثيراً من الناس مصدراً للاستدلال . فمعرفة هذه لابد أن تكون بالأدلة أي المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

ومن لم يعتصم بالكتاب والسنة ضل ، ومن رام الوصول من غير طريقهما زل ، كما قيل : «كيف يرام الوصول إلى علم الأصول بغير ما جاء به الرسول!! صلى الله عليه وسلم» ؛ أي أن هذا محال ، لا يمكن ؛ فلا يمكن أن تتحقق للعبد معرفة صحيحة بالله وبنبيه عليه الصلاة والسلام وبالدين –دين الإسلام– إلا بالدليل وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومن فارق الدليل ضل السبيل ولا دليل إلا بما جاء به الرسول ؛ هذه كلمة كان يكررها ابن تيمية رحمه الله كثيراً : « من فارق الدليل ضل السبيل ، ولا دليل إلا بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام» .

وقوله «ضل السبيل» يدل عليه قول الله تعالى : ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه:١٢٣] ، مفهوم المخالفة: أن من لم يتبع هدى الله ووحيه فإنه يضل ، قال عليه الصلاة والسلام : ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ؛ كتاب الله وسنتي)) ، والشواهد على هذا كثيرة .

ولهذا ينبغي على كل مسلم أن يعتني بهذه الأصول الثلاثة عناية دقيقة ؛ معرفة الله ، معرفة النبي عليه الصلاة والسلام ، معرفة دين الإسلام ؛ ينبغي على كل مسلم أن يعرفها معرفة دقيقة ، وأن يدع طرائق الجاهلين وسبل المضلين ، وكم أضلوا كثيراً !إما بحكايات ، أو بمنامات ، أو بتجارب ، أو بقصص ، أو بأشياء من هذا القبيل ، كم أضلوا كثيراً من العوام وأبعدوهم عن دين الله تبارك وتعالى وعن الجادة السوية . ولهذا تجد الشخص أحياناً يتكلم عن مثل هذه المسائل ولا يذكر آية ولا يذكر حديثاً بل يذكر قصص ويذكر حكايات ويذكر منامات وهلم جرا ، وكم أضلوا من العوام بمثل هذه الطريقة .

ولهذا ينبغي للعامي أن يكون فطن ؛ دين الله ليس تجارب الأشخاص ، دين الله عز وجل ليس آراء الناس ، دين الله جل وعلا ليس اختراع مخترع ، دين الله سبحانه وتعالى ليس ذوق متذوق ؛ دين الله جل وعلا وحي من الله منزَّل ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ [الأنبياء:٤٥] ، ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ [ق:٤٥] ، دين الله جل وعلا وحي منزل من رب العالمين ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥] ، قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢] .

فلهذا ينبغي للعامي والمسلم عموماً أن يكون فطناً في هذا الباب ، دين الله لابد فيه من الدليل ، والدليل قال الله قال رسوله عليه الصلاة والسلام . وهذه مسألة واضحة مثل الشمس ، فإذا قال لك قائل : "اعتقد كذا لأني

رأيت في المنام كذا وكذا" أو قال لك : جربنا ، أو حكى لك في ذلك قصة أو أو ..الخ ، كل ذلك ليس مصدراً للاستدلال وليس طريقا يُستمد منه الدين والاعتقاد ، الدين : قال الله قال رسوله . ولهذا جادة السلف وطريقتهم ماضية على ذلك من أول الزمان إلى زماننا هذا إلى أن يرث الله الأرض ، وهذه طريقة أهل الحق والهدى ، لا يأتي أحد منهم بعقيدة ينشئها من نفسه أو يخترعها أو يخترعها له أشياخه ، بل دين الله يستمد من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ولهذا ابن تيمية رحمه الله تعالى قال في هذا المقام كلمة عظيمة ، قال : «الاعتقاد ليس لي ولا لمن هو أكبر مني ؛ الاعتقاد لله وللرسول عليه الصلاة والسلام » ؛ الاعتقاد ما جاء في القرآن والصحيحين والسنن والأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولهذا يلزم كل أحد يقرر عقيدة أن يبنيها على الدليل ؛ يقول : نعتقد كذا لقول الله تعالى كذا ، ونعتقد كذا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ؛ وهذه جادة أهل العلم ، أما المصادر التي جُعلت للاستدلال فهذه مصادر عند أهل الأهواء ، وانتبه لقول الله سبحانه وتعالى في مقام التحذير من الشرك ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:١٩-٢٣] ؛ ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ وهذه طريقة كل مبطل وكل صاحب ضلال ، فهو في ضلاله إما أن يكون متبعاً ظنوناً وأوهاماً وتخرصاتٍ يظنها علماً ، أو يكون متبعاً هوى نفسه . قال : ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ ؛ الهدى جاء من الله ونزل من رب العالمين فلِمَ يتشاغل الناس بظنون وأهواء وبينهم وحي الله تبارك وتعالى وتنزيله سبحانه ؟! وانتبه جيداً لقوله تعالى : ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ ، فكل عقيدة بين الناس لم ينزل بها سلطان -أي لم ينزل بها حجة وبرهان من الله جل وعلا- فهي مردودة وباطلة وغير مقبولة ، لأنه لا يُقبل من أمور الدين إلا ما كان نزل به سلطان ؛ أي حجة ، والحجة سميت سلطاناً لأنها تستولي على القلوب وتتسلط على القلوب وتتمكن من القلوب ، ولا تتمكن القلوب من ردِّها لقوتها قال : ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ .

الشاهد -معاشر الأخوة- أن هذه الأصول الثلاثة ينبغي على كل مسلم أن يعتني بمعرفتها بالدليل ، والدليل : قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم . وفي هذه الرسالة سترى أدلة هذه الأصول من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . والمؤلف رحمه الله ليس له في هذا الكتاب إلا الجمع والترتيب والإيضاح والبيان ، وإلا الكتاب كله أدلة وسترى ذلك ؛ أدلة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا هو الدين ؛ دين الله هذا هو قال الله قال رسوله صلى الله عليه وسلم ، عندما تُعقد مقارنة بين مثل هذه الكتب وكتب أهل الباطل يجد

الإنسان الفرق الشاسع والبون الواسع بين طريقة أهل الحق وطرائق المبطلين ، والله تعالى يقول : ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[الرعد:١٩] ، ويقول : ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الملك:٢٢] ، ويقول جل وعلا : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر:٩] .

قال : ((**الأُولى: العِلْمُ؛ وهوَ معرفةُ اللهِ، ومعرفةُ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم ، ومعرفةُ دينِ الإسلامِ بالأدلةِ**)) ؛ «**معرفة الله**» ؛ المقام هنا يتناول جانبي التوحيد العلمي والعملي ؛ بأن يعرف المسلم الله بأنه جل وعلا وحده الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر لهذا الكون لا شريك له ، وأنه له الأسماء الحسنى والصفات العلى لا نظير له ولا مثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١] ، وأن يعرف الله بأنه سبحانه وتعالى هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وأنه جل وعلا وحده هو الذي يستحق العبادة وأن يُفرد بالذل والخضوع والانكسار ، وأن لا يُجعل معه شريك في شيء من خصائصه أو حقوقه جل وعلا على عباده ، وسيأتي لهذا تفصيلٌ وبيانٌ عند المصنف رحمه الله تعالى .

و «**ومعرفةُ نبيِّهِ صلى الله عليه وسلم**» بأنه مرسل من الله جل وعلا بالهدى والحق ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وأنه بلَّغ البلاغ المبين ، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وما ترك خيراً إلا دلّ الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرها منه ، ولم يمت إلا بعد أن أنزل الله عز وجل في ذلك تنصيصاً وتبييناً قوله سبحانه : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة:٣].

ومعرفة النبي عليه الصلاة والسلام : تكون بمعرفته بتكميله مقام العبودية وتتميمه دين الله عز وجل ، وأنه صلوات الله وسلامه عليه على خلق عظيم ؛ أي على دين كامل ، وأنه رسول الله وخاتم النبيين ، وأنه بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه ، وأن الدين هو ما جاء عنه ، وأن يطاع عليه الصلاة والسلام فيما أمر وأن يُنتهى عما نهى عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما جاء عنه عليه الصلاة والسلام ، وان يُصدَّق في كل أخباره صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب:٣٦] .

فالشاهد أن النبي عليه الصلاة والسلام معرفته واجبة على كل مسلم ، ومن لم يعرف النبي عليه الصلاة والسلام فمن أين له أن يعرف الدين ؟ وهو عليه الصلاة والسلام الطريق والواسطة لمعرفة دين الله ، ومن حكمة الله سبحانه وتعالى في عباده ابتلاءً وامتحاناً أنه لم ينزِّل الدين وحياً على كل العباد فرداً فرداً ، بل اختص من العباد

صفوتهم واجتبى منهم خيارهم ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥] ؛ فاجتبى صفوة العباد فأنزل عليهم وحيه ، وبلَّغوا ما أوحي إليهم بلاغاً تاماً وافياً لا نقص فيه ، فدين الله جل وعلا لا يُعرف إلا من طريق الرسل ، وقد ختمهم الله جل وعلا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، والرسول مهمته محددة ؛ وهي إبلاغ كلام المرسِل ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [النور:٥٤] ، وقد بلغ عليه الصلاة والسلام الدين كاملاً ، ومهمة أتباع الرسول فعل ما بلغهم واتباعه فيما جاء عنه ، «من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم» ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] هذه مهمة العبد ؛ أن يسلِّم لله تبارك وتعالى ولرسوله عليه الصلاة والسلام ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هذا فيما يتعلق بمعرفة الرسول – عليه الصلاة والسلام ، وسيأتي عند المصنف ذكر جوانب مهمة وعظيمة في هذا الباب ؛ باب معرفة الرسول عليه الصلاة والسلام .

«**ومعرفةُ دينِ الإسلامِ**» ؛ وهذه أيضاً سيأتي فيها بياناً وبسطاً وإيضاحاً وتقريراً وذكراً للدلائل عند المصنف رحمه الله تعالى .

قال : ((**الثانيةُ**)) أي من المسائل الأربع ((**العملُ بهِ**)) أي بالعلم ، وهذه ثمرة العلم ومقصود العلم،، مقصود العلم: العمل ، وإلا يكون العلم حجةً على الإنسان . فمقصود العلم : العمل ؛ أن يعمل بما علِم ، لا أن يحفظ نصوصاً ويعرف أحكاماً بل مقصود العلم العمل ، ولهذا قال علي رضي الله عنه : «يهتف بالعلم العمل ؛ فإن أجابه وإلا ارتحل» . فالمسألة الثانية العمل به ؛ أي بالعلم الذي تعلمه المسلم مستمداً له من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

وبعض أهل العلم يضرب لهذا المقام –مقام العلم والعمل– بمثال ؛ وهو أن العلم وهو وحي الله مثله مثل الماء ومثل المطر ، والعمل مثله مثل النبات والشجر ، والنبات والأشجار مادتها التي تغذيها هي الماء ، والعمل بدين الله تبارك وتعالى مادته التي تغذيه وحي الله جل وعلا ؛ ولهذا كلما عظم حظ الإنسان من العلم مع النية الصادقة والقصد الحسن تصلح أعماله ، لأن العلم النافع مع حُسن القصد يثمر العمل الصالح ، ولهذا يقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:١٦-١٧] أي كما أن الأرض تحيا بالماء فالقلوب والأفئدة تحيا بالعلوم النافعة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

ولهذا جاءت النصوص المتضافرة والأدلة المتكاثرة في الحث على العلم والترغيب فيه ؛ قال عليه الصلاة والسلام : ((من يرد الله به خيراً يفقه في الدين)) ، قال : ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة)) ؛ وذلك لأن العلم يثمر العمل ، والعمل يثمر دخول الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢] .

قال : ((**الثالثةُ: الدعوةُ إليهِ**)) ؛ المسألتان الأولى والثانية تتعلق بالإنسان خاصته ؛ أن يتعلم ويعمل ، فيصلح هو في نفسه بالهدى الذي هو العلم ، والعمل الذي هو دين الحق ، كما قال الله عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الفتح:٢٨] ؛ فالهدى: هو العلم ، ودين الحق: هو العمل ؛ فإذا صلح العبد بالهدى ودين الحق يجتهد في أن يسعى في إصلاح الآخرين ، وتعدية هذا الخير الذي وصل إليه إلى غيره ؛ فيكون هادياً ناصحاً معلماً بعد أن وفقه الله لأن اهتدى في نفسه وصلح في نفسه .

فهذه المسألة الثالثة ((**الدعوةُ إليهِ**)) أي إلى العلم والعمل ، والله يقول : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل:١٢٥] ، ويقول : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣] ، ويقول : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨] ؛ فيعلِّم الإنسان الخير الذي تعلمه وعرفه وفهمه يعلِّمه الآخرين لينتشر دين الله عز وجل بين الناس.

قال : ((الدعوةُ إليهِ)) أي إلى دين الله جل وعلا .

ولاحظ هنا ذِكره للدعوة بعد العلم والعمل ؛ وهذا يستفاد منه: أن الدعوة لا تكون إلا بذلك ، أما من لا علم عنده كيف يدعو ؟ وفاقد الشيء لا يعطيه ، ومن لا يعمل كيف يدعو إلى شيء لا يعمله هو ، بل ينبغي أن يصلح نفسه ثم يعدي هذا الخير إلى الغير.

قال : ((**الرابعةُ: الصبرُ علَى الأَذى فيهِ**)) ؛ أي الأذى في هذا الطريق ؛طريق الدعوة إلى الله تبارك وتعالى ، ومن يدعو إلى الله جل وعلا قد لا يسلم ، لم يسلم الأنبياء ، ولم يسلم خاتم الأنبياء عليهم وعليه صلوات الله وسلامه ، ولم يسلم الصحابة والعلماء والأئمة لم يسلموا من الأذى ، ولهذا يقال : طريق الدعوة ليس مفروشاً بالورود والزهور، بل يتعرض الإنسان للأذى ، لأن الداعي إلى الله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع صنف واحد من الناس بل يتعامل مع أصناف الناس ؛ فهذا الخلوق ، وهذا البذيء ، وهذا السيئ ، وهذا الغليظ ..الخ ، يتعامل مع أصناف الناس ؛ ولهذا لابد أن يتحلى بالصبر –أي على الأذى – ، وأيضاً بالصبر على الدعوة ؛ قد يدعو شخصاً أو أشخاصاً مرة أو مرتين أو أكثر أو أقل فلا يحصّل فائدة أو لا يحصل استجابة ، فيصبر ويمضي مستمراً بالدعوة وتكرار النصيحة وتوالي البيان لعل الله سبحانه وتعالى يهدي المنصوح .

والصبر خلق النبيين كما قال الله جل وعلا : ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥] ، وهو دأب الصالحين ، وهو خُلق عظيم يحتاج إليه المسلم في دينه كله ؛ في صلاتك وصيامك وجميع عباداتك تحتاج إلى الصبر، وفي بُعدك عن الحرام وعما نهى الله عنه تحتاج إلى الصبر ، وفي المصائب والآلام تحتاج إلى الصبر ، فالصبر خلق عظيم يحتاج إليه المسلم في أموره كلها ، والله يقول : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[البقرة:١٥٥] ، قال : ((والصبرُ علَى الأَذى فيهِ)) .

قال : ((**والدليلُ قولُه تعالَى**))؛ انتبه لطريقة الشيخ في كتابه كله؛ كلما يذكر مسألة يتبعها بقوله : ((والدليلُ قولُه تعالَى)) ، أو : ((والدليل قوله صلى الله عليه وسلم)) ، لا ترى في الكتاب كله غير ذلك ، أما كتب أهل الباطل فالطريقة مختلفة عن هذه تماماً ؛ إذا قال الدليل أو إذا استدل تجده يذكر أموراً أخرى غير القرآن والحديث ، إما أن يحكي تجربة ، أو يحكي مناماً ، أو يتحدث عن ذوقه هو ، أو ذوق أحد مشائخه أو.. أو.... إلى غير ذلك مما هو كثير في كتب أهل الباطل ، والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة في كتب المضلين ، قد قال عليه الصلاة والسلام : ((إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)) ؛ كان يخاف على أمته عليه الصلاة والسلام منهم خوفاً عظيماً لشدة خطورتهم وضررهم على الناس ، ولعظم صدهم عن دين الله تبارك وتعالى .

قال : ((**والدليلُ قولُه تعالَى : بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**)) ، ثم نقل كلمة عظيمة عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في بيان مكانة هذه السورة وعظيم شأنها .

ونقف إلى هذا الحد ، ويكون الكلام غداً بإذن الله تبارك وتعالى عن هذه السورة العظيمة وعن مضامينها الجليلة .

ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفعنا جميعاً بما علّمنا ، وأن يمنَّ علينا بالعلم النافع والعمل الصالح ، وأن يهدينا إليه صراطاً مستقيماً ، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا ، وأن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير ، والموت راحة لنا من كل شر ، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنه تبارك وتعالى غفور رحيم .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .